خطبة صلاة الجمعة 20/4/2012 للشيخ الطبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، المالكي، دمشق

www.dr-shaal.com

(وقت الفراغ في الأزمات)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، خيرُ نبي اجتباه، هدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدِّين كلِّه ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كره، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّد وعلى أله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد:

عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى وأحثكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير:

يقول الله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [سورة العصر].

وقال الله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ * وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ [الشَّرح:5-8].

عن ابن عبَّاس –رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: ((**نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ**)) [رواه البخاري].

وقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم لرجل وهو يعظُهُ: ((**اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ, شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ, وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ, وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ, وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ, وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ**)) [رواه البيهقي والحاكم].

عن مجاهد، قال: قال لي ابن عمر: (يَا مُجَاهِدُ، إِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِالْمَسَاءِ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِالصَّبَاحِ، وَخُذْ مِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ وَمِنْ صِحَّتِكَ لِسَقَمِكَ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي يَا عَبْدَ اللهِ مَا اسْمُكَ غَدًا) [رواه البيهقي].

عنوان خطبة اليوم:

(وقت الفراغ في الأزمات)

أيُّها الإخوة:

إنَّ واحداً ممَّا أفرزته الأزمة على بلدنا وناسنا وقوع عدد لا يُستهان به من الأفراد في وقت فراغ، فتوقفت بعض الأعمال بالكلِّية، واختُصر بعضها الآخر، وغاب بعض الطُّلاب عن مدارسهم وجامعاتهم، وابتعد عدد من الأسر عن بيوتهم... ونحو ذلك من الأعراض التي أفرزت مساحةً واسعةً أو ضيقةً من الفراغ عند بعض الإخوة والأخوات، الأمر الذي يدعوني للحديث عن وقت الفراغ وللتَّدارس في الشَّكل الأنسب لملئه ليكون نعمةً لا نِقْمةً، وليساعد في تخفيف الأزمة لا تأجيجها، وليعين في الدَّعم النَّفسي لا القلق العصبي.

أحدثكم بدايةً عن الإمام السَّرخسي صاحب المبسوط في الفقه الحنفي:

السَّرخسي: هو محمَّد بن أحمد بن أبي سهل، أبو بكر شمس الأئمة صاحب كتاب المبسوط في الفقه الحنفي، الذي جاء في عشرين مجلدةً، قالوا عن الكتاب وصاحبه:

(أَسْنَى مَا أُلِّفَ فِي الفقه وَأَبْدَعُهُ وَأَعْذَبُهُ وَأَحْكَمُهُ وَأَجْمَعُهُ -كِتَابُ الْمَبْسُوطِ- فِي فِقْهِ مَذْهَبِ الْإِمَامِ الْأَعْظَمِ أَبِي حَنِيفَةَ، تَصْنِيفُ الْعَلَمِ النِّحْرِيرِ ذِي الْإِتْقَانِ وَالتَّحْرِيرِ، وَالْحُجَّةِ لِمَنْ بَعْدَهُ، وَالْبُرْهَانِ الَّذِي يُوقَفُ عِنْدَهُ شَمْسِ الْأَئِمَّةِ، وَحَبْرِ الْأُمَّةِ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بن أحمد بنِ أَبِي سَهْلٍ السَّرَخْسِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ- وَجَعَلَ دَارَ النَّعِيمِ مَثْوَاهُ.

كِتَابٌ يَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّهُ جَمَعَ فَأَوْعَى، وَأَحَاطَ بِالنَّوَادِرِ وَالْأَشْبَاهِ وَالنَّظَائِرِ جِنْسًا وَنَوْعاً).

وقد توفَّى الله الإمام السَّرخسي سنة خمسمائة للهجرة على التَّقريب، ولا يزال كتابه هذا إلى اليوم مرجع الفقهاء وحجَّة العلماء، والعجيب في كلِّ ما سمعتم أنَّ السَّرخسي ألف كتابه هذا وهو في السِّجن، إذ حُبِسَ في الجبِّ بسبب كلمةِ نُصحٍ، فكان طلَّابه يزورونه يجلسون على فم الجبِّ وهو في أدناه فيملي عليهم العلم من حافظته وهم يكتبون عنه، وكم

توجع في سجنه ذاك، لكنَّه كان يفيد من وقت فراغه بتعليم العِلم ومدارسته فممَّا جاء في كتابه:

(انتهى ربع البيوع، من المبتهل إلى الله تعالى بالخضوع وإسبال الدُّموع، المنقطع عن الأهل والجموع)، إلى غير ذلك من أماكن يتوجع فيها من أزمته، لكنَّه أفاد من وقت فراغه وملأه بالنَّفع العميم.

إنَّ الأزمات جزء من الحياة، وهي تأتي وتغيب ولا مفرَّ منها، ولكنْ إذا واصلت الأزمة لزمن طويل فلا بدَّ أنَّها ستؤثر على مجرى الحياة اليومية للإنسان.

ووقت الفراغ في الأزمات قد يكون سبباً في الكثير من المشكلات ولكن في المقابل قد يكون سبباً لحلِّها والخلاص منها، وذلك إذا عرف المرء كيف يفيد منه في تحصيل النَّفع والخيرات له أو لمن حوله من النَّاس، ولربَّما كانت الأزمة سبباً في تحرير الطَّاقة الكامنة عند المرء.

كتب أحد الدُّعاة تحت عنوان "رُبَّ ضارةٍ نافعة" يقول:

(يقولُ وليم جايمس: "عَاهَاتُنا تساعدُنا إلى حدٍّ غَيْرِ متوقَّعٍ، ولو لمْ يعشْ دوستيوفسكي وتولستوي حياةً أليمةً لَمَا استطاعا أنْ يكتبا رواياتِهما الخالدةَ، فاليُتمُ والعمى والغربةُ والفقرُ، قد تكونُ أسباباً للنبوغِ والانجازِ، والتَّقدمِ والعطاءِ".

قد ينُعمُ اللهُ بالبلوى وإنْ عظمتْ ... ويبتلي اللهُ بعض القومِ بالنِّعمِ

ألَّف ابنُ الأثيرِ كُتبهُ الرَّائعة، كـ: "جامعِ الأصولِ"، و"النِّهايةِ"، بسببِ أنهُ مُقْعَدٌ.

وكتب ابنُ القيِّم: "زاد المعاد" وهو مسافرٌ !

وشرح القرطبيُّ: "صحيح مسلم" وهو على ظهرِ السَّفينةِ !

وجُلُّ فتاوى ابنِ تيمية كتبها وهو محبوسٌ !

وجمع المحدِّثون مئاتِ الآلافِ من الأحاديثِ لأنَّهمْ فقراءُ غرباءُ.

وأخبرني أحدُ الصَّالحين أنَّه سُجن فحفظ في سجنِهِ القرآن كلَّه، وقرأ أربعين مجلَّداً !

وأملى أبو العلاء المعري دواوينه وكُتُبه وهو أعمى !

وعمي طه حُسين فكتب مذكَّراته ومصنَّفاتِه !

وكم من لامعٍ عُزِل من منصبِه، فقدَّم للأمَّةِ العلم والرَّأي أضعاف ما قدَّم مع المنصبِ.

يقولُ الدكتورُ بريل: "إنّ أيَّ مؤمنٍ حقيقي لنْ يُصاب بمرضٍ نفسيٍّ".

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ [مريم:96]) [عن كتاب لا تحزن].

أيُّها الإخوة:

بين يدي مقترحات نفيد منها جميعاً، ويفيد منها كلُّ من وجد وقت فراغ في هذه الأزمة، ولك أن تختار ممَّا تسمع ما يناسبك وما ترى فيه الفائدة الأكبر:

1) يستغرق حفظ القرآن الكريم ستمائة ساعة، ولعلك تجد الوقت الكافي لحفظه مادمت في هذا الفراغ، فتنال بذلك رتبةً لم تستطع أن تنالها طيلة حياتك، قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: ((**إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ**))، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَنْ هُمْ؟ قَالَ: ((**أَهْلُ الْقُرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ**)) [رواه النَّسائي وابن ماجه وأحمد والبيهقي].

وعن عثمان رضي الله عنه، عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال: ((**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**)) [رواه البخاري].

حدَّثني أخ أثق به أنَّه فرغ شهراً فتفرغ لحفظ القرآن عشر ساعات كلَّ يوم فكان أن ختم مع نهاية الشَّهر إذ ضم محفوظاته القديمة للجديدة.

وحدَّثني مهندس قرر حفظ القرآن في السِّتين من عمره فكان أن ختم بعد سنتين يفرِّغ ساعةً كلَّ يوم.

حفظ القرآن مغنمٌ كبيرٌ لك في فراغك.

2) في سوريا اليوم ما يزيد على ألف وثلاثمائة جمعية خيرية وتنموية وصحية وعلمية، بعض هذه الجمعيات فاعلٌ ونشيطٌ وبعضها خاملٌ وضعيف، ومنها بين بين، وكلُّ هذه الجمعيات تحتاج إلى متطوعين لدعم برامجها أو لرفع سويَّتها، ولعلَّك في وقت فراغك تنتسب لإحداها فتكون مسانداً وداعماً، فيقضي الله على يديك حاجة محتاج أو يشفي على يديك مريضاً، ولعلَّك تواسي مصاباً أو تصنع لأخرق أو تحمل كَلَّاً وتعين على نوائب الدَّهر؛ فتنال بذلك منزلةً عند الله ما نِلْتَها من قبل، قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: ((**الْمَعْرُوْفُ إِلَى النَّاْسِ يَقِيْ صَاحِبَهُ مَصَارِعَ السُّوْءِ**

وَالْآفَاتِ وَالهَلَكَاتِ، وَأَهْلُ الْمَعْرُوْفُ فِيْ الدَّنْيَا هُمْ أَهْلُ الْمَعْرُوْفِ فِي الْآخِرَة))

[رواه الحاكم].

3) إتقان لغةٍ أجنبيةٍ جديدةٍ يحتاج في بعض المعاهد الخاصة إلى خمسمائة ساعة تعليمية، ولعلَّ امرءاً يحتاج أكثر من ذلك أو أقلّ، فما رأيك وقد فرغت أن تضيف إلى معارفك معرفةً جديدةً وإلى خبراتك اللُّغوية خبرةً إضافيةً.

حدَّثني أخٌ أن فرصة عمل أتيحت له يتقاضى فيها راتباً شهرياً يعادل ثلاثة أضعاف ما يتقضاه أقرانه، لو أنَّه كان يتقن اللُّغة الانكليزية، غير أنَّه لم يكن كذلك ففاته الفرصة.

أيُّها الإخوة:

في الحياة فرصٌ ومواهبٌ: الفرص ليست بيدك بل بيد الله، لكن المواهب بيدك، فمهما استطعت أن تزيد مواهبك فافعل، لأنَّ الفرصة عندما تأتي ستختار أكثرنا موهبةً وأكبرنا خبرةً.

4) تعلُّم مهنةٍ جديدةٍ.

5) المساعدة في محو الأمِّية عن شابٍّ أو امرأةٍ، بتعليمه وتدريبه.

6) الالتحاق بمجالس العِلم في البلد لتحصيل الإجازات العلمية في كُتب التَّفسير أو الحديث أو الفقه أو التَّربية وغيرها.

7) بذل وقت الفراغ لمساعدة المتضرِّرين في تأمين مسكنٍ لهم أو غذاءٍ أو دواءٍ أو نحو ذلك.

أيُّها الإخوة:

هذه مقترحاتٌ سبعةٌ وهي نماذج محدودة ومقترحات معدودة لملئ وقت الفراغ في الأزمة، ولا ريب أنَّ من اجتهد اختار ما يناسبه أو أوجد ما يلائمه، فالمهم أن يملأ أحدنا وقته بما ينفعه أو ينفع الآخرين، وبالمناسبة ولأهمية وقت الفراغ أنشأ العالم سنة 1987 منظَّمةً عالميةً لاستثمار وقت الفراغ اسمها (ملست) المنظَّمة العالمية لاستثمار أوقات الفراغ بالعلوم والتُّكنولوجيا. من خلال ممارسة الأنشطة العلمية التَّجريبيَّة النَّوعية من قبل الشَّباب

خلال أوقات الفراغ بالإضافة إلى المساهمة في التَّوعية العلمية والثَّقافية مع مراعاة المعتقدات والتَّقاليد والأعراف لجميع الشُّعوب.

أيُّها الإخوة:

نفسك إن لم تشغلها بالخير شغلتك بالشَّرِّ، والشَّيطان يجد عملاً للأيدي العاطلة لكي تعمل.

كان الحسن البصري يقول: (ما من يوم ينشق فجره إلَّا نادى منادٍ من قبل الحقِّ: يا ابن آدم أنا خلقٌ جديدٌ، وعلى عملك شهيدٌ، فتزود منِّي بعمل صالح، فإنِّي لا أعود إلى يوم القيامة(.

وفي الحديث الذي رواه أبو برزة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: ((**لَا تَزُولُ قَدَمَا ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْس: عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ، وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ**)) [رواه التِّرمذي].

والحمد لله رب العالمين